أسلوب الالتفات في الجزء الأخير من القرآن الكريم

بقلم: عقدي رفيق أسنوي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

ملخص

يعدّ الالتفات من أهم ألوان الصياغة العربية وأكثرها تداولا في القرآن الكريم، ويلقب بشجاعة العربية وهو يحسن الكلام حتى يجذب انتباه القارئ والسامع، وله من الأسرار واللطائف الحسنة تجعل أهل العلم من البلاغيين والمفسرين وغيرهم لم يتوقفوا على الحديث عنه والوقوف على نماذجه. ومن بين تلك الأسرار ما تكون في أساليب الالتفات في الجزء الأخير من القرآن الكريم، فيقدم هذا البحث عرضا موجزا لتعريف الالتفات لغة واصطلاحا مع تنوع أشكال الالتفات قبل ذكر الآيات القرآنية في هذا الجزء التي تظهر فن الالتفات فيها مع سرد أقوال المفسرين عنها، ثم الإشارة إلى المواطن المتبقية للالتفات في هذا الجزء بدون الوصول إلى مرتبة الإحصاء الدقيق في حصرها.

الكلمات الرئيسية: الالتفات، البلاغة العربية، القرآن الكريم.

المقدمة

عجز العرب والعجم أن يأتوا بمثل القرآن لقمة فصاحته وبيانه، فقد أنزله الله تعالى بلسان عربي مبين هدى وبشرى للمؤمنين، فيه من الأساليب البلاغية لم تنته المسيرة لاكتشاف جمالها وأسرارها، فمنذ عهد التنزيل إلى هذا العصر لقد اهتم الفصحاء والبلغاء بدراسة أساليبه ومعانيه ودلالته.

فمن أكثر الأساليب البلاغية ترددا في القرآن الكريم هو الالتفات، فلا عجب من ذلك لأن الالتفات يجعل الكلام أحسن تطرية لنشاط السامع وأكثر

إيقاظًا للإصغاء إليه،[١] وله من اللطائف والأسرار تلفت النفس المتلقية الواعية إلى كثير من المزايا، وكلما أمعن الفرد النظر في مواطنه من الكلام الرفيع بانت له وجوه من الحسن تزيده إحساسًا بقدرته،[٢] والقرآن أجدر به كله.

وسمي الالتفات أيضا بشجاعة العربية؛ لأن الشجاعة هي الإقدام، وذاك أن الرجل الشجاع يركب ما لا يستطيعه غيره، ويتورد ما لا يتورده سواه، وكذلك هذا الالتفات في الكلام، فإن اللغة العربية تختص به دون غيرها من اللغات.[٣]

فسُرد الالتفات في هذا البحث من حيث التعريف والأقسام والمواضع التي يسّر الله للباحث الوقوف عليها في الجزء الثلاثين من القرآن الكريم ليتمتع القارئ بحسن ماهيته، وجمال أساليبه وروعة أسراره.

التعريف بالالتفات لغة

يدور الكلام عن معاني "الالتفات" لغةً في المعاجم العربية حول اللي وصرف الشيء عن شيء، سواء أكان ذلك فيما يتعلق بالجهات أو فيما يتعلق بالأمور المعنوية كالآراء والأحاسيس وغيرها.[٤]

---

[١] القزويني، **الإيضاح في علوم البلاغة**، الطبعة الثالثة، المجلد الثاني، (بيروت: دار الجيل)، ص: ٩١.

[٢] محمد أبو موسى، **خصائص التراكيب**، الطبعة السابعة، (القاهرة: مكتبة وهبة)، ص: 249.

[٣] ابن الأثير. **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، المجلد الثاني، (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٠هـ)، ص: ١٣٥.

[٤] مادة (ل ف ت). الجوهري، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، المجلد الأول، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠٧هـ) ص: ٢٦٤؛ ابن فارس. **معجم مقاييس اللغة**، المجلد الخامس، (بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ)، ص: ٢٥٨؛ الرازي. **مختار الصحاح**، (بيروت: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، ١٤٢٠ هـ)، ص: ٢٨٣؛ ابن منظور. **لسان العرب**، الطبعة الثالثة، المجلد الثاني، (بيروت: دار صدر، ١٤١٤هـ)، ص: ٨٤؛ الزبيدي. **تاج العروس من جواهر القاموس**، المجلد الخامس، (كويت: مطبعة حكومة كويت: ١٣٨٩هـ)، ص: ٧٨؛ مجمعة اللغة العربية. **المعجم الوسيط**، (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٤م) ص: ٨٣١.

وقد ورد الالتفات في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع، لم يخرج الالتفات فيها عن معناه اللغوي الذي تقدم ذكره ألاَ وهو: الصرف من جهة إلى أخرى. وهي:

١- ﴿ قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاء فِي الأَرْضِ ﴾[يونس: ٧٨]. قال الطبري: « لتلفتنا: لتصرفنا وتلوينا »[٥]

٢- ﴿ قَالُواْ يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُواْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾[هود: ٨١]. قال الآلوسي: « قيل: وهذا هو المعنى المشهور الحقيق للالتفات، وأما الأول فلأنه يقال: لفته عن الأمر إذا صرفته عنه فالتفت أي انصرف، والتخلف انصراف عن المسير ».[٦]

٣- ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴾ [الحجر: ٦٥]. قال ابن عطية: « وقيل يَلْتَفِتْ معناه يتلوى من قولك لفت الأمر إذا لويته، ومنه قولهم للعصيدة لفيتة لأنها تلوى، بعضها على بعض ».[٧]

وجاء في الحديث النبوي لفظ الالتفات في أكثر من موضع بمعنى اللي والصرف، منها ما روي عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: سألت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الالتفات في الصلاة، فقال: « هو اختلاسٌ يختلسهُ الشيطان من صلاة العبد »،[٨] معنى الالتفات في الصلاة هنا: صرف الوجه يمنة

---

[٥] الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، المجلد الخامس عشر، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ)، ص: ١٥٧.

[٦] الآلوسي، **روح المعاني**، المجلد السادس، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ)، ص: ٣٠٥.

[٧] ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز**، المجلد الثالث، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ)، ص: ٣٦٨.

[٨] البخاري، **الصحيح**، الطبعة الأولى، المجلد الأول، (بيروت: دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ)، رقم الحديث: ٧٥١، ص: ١٥٠؛ أبو داود، **السنن**، المجلد الأول، (بيروت: المكتبة العصرية)، رقم الحديث:

ويسرة في الصلاة إلى جهة خارجها.[٩]

وفي كلام العرب من شعر رؤبة: يدقّ صلّبات العظام لفتا # لفتا وتهزيعا سواء اللّفت. قال أبو عبيدة (٢٠٩هـ) عنه: التهزيع: الدّق، واللّفت: اللّيّ.[١٠]

التعريف بالالتفات اصطلاحا

تغاير آراء البلاغيين في المعنى الاصطلاحي للالتفات مما يؤدي إلى تنوع عدد أقسامه، فأوّل من عرف الالتفات في معناه الاصطلاحي هو ابن المعتز(٢٩٦هـ) حيث قال: « وهو انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الاخبار وعن الاخبار إلى المخاطبة وما يشبه ذلك. ومن الالتفات الانصراف عن معنىً يكون فيه إلى معنى آخر».[١١]

أما محمود بن عمر الزمخشري (٥٣٨هـ) فقد بيّن وعرّف الالتفات حين عرض له من خلال تفسير القرآن الكريم وذكر لأول التفات في سورة الفاتحة: « هذا يسمى الالتفات في علم البيان قد يكون من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة ومن الغيبة إلى التكلم ... على عادة افتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه ».[١٢]

ومن علماء القرن السابع الهجري أبو يعقوب السكاكي (٦٢٦هـ) كان يقول في تعريف الالتفات: « واعلم أن هذا النوع: أعني نقل الكلام عن الحكاية

٩١٠، ص: ٢٣٩؛ الترمذي، **السنن**، المجلد الأول، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨م)، رقم الحديث: ٥٩٠، ص: ٧٢٩؛ النسائي، **السنن**، الطبعة الثانية، المجلد الثالث، (حلب: مكتب المطبوعة الإسلامية، ١٤٠٦هـ)، رقم الحديث: ١١٩٦، ص: ٨.

[٩] ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، المجلد الثاني، (بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ)، ص: ٢٣٤؛ العظيم آبادي، **عون المعبود شرح سنن أبي داود**، الطبعة الثانية، المجلد الثالث (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ)، ص: ١٢٥.

[١٠] أبو عبيدة، **مجاز القرآن**، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٣٨١هـ)، ص: ٢٨٠.

[١١] ابن المعتز. **البديع في البديع**، الطبعة الأولى، (بيروت: دار الجيل، ١٤١٠هـ)، ص: ١٥٢.

[١٢] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، الطبعة الثالثة، المجلد الأول، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ)، ص: ١٣.

على الغيبة لا يختص المسند إليه ولا هذا القدر بل الحكاية والخطاب والغيبة ثلاثتها ينقل كل واحد منها على الآخر ويسمى هذا النقل التفاتا عند علماء علم **المعاني** ».[١٣]

ثم أتى ضياء الدين ابن الأثير (٦٣٧هـ) ليسهب القول في هذا الفن ويبدأ بتعريفه لغويا بقوله: « وحقيقته مأخوذة من التفات الإنسان عن يمينه وشماله فهو يقبل بوجهه تارة كذا وتارة كذا »، ثم يقول: « وكذلك يكون هذا النوع من الكلام خاصة؛ لأنه ينتقل فيه عن صيغة إلى صيغة، كالانتقال من خطاب حاضر إلى غائب، أو من خطاب غائب إلى حاضر. أو من فعل ماض إلى مستقبل، أو من مستقبل إلى ماض، أو غير ذلك ».[١٤]

أما يحي بن حمزة العلوي (٧٤٥هـ) فعرّف الالتفات بأنه: « العدول من أسلوب في الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأول، وهذا أحسن من قولنا: هو العدول من غيبة إلى خطاب، ومن خطاب إلى غيبة؛ لأن الأول يعم سائر الالتفاتات كلها، والحد الثاني إنما هو مقصور، على الغيبة والخطاب لا غير».[١٥]

وتابعه الصفدي (٧٦٤هـ) حيث أطلق الالتفات فقال: « الالتفات هو الخروج من نوع إلى نوع وسلوك سبيل بعد سبيل حتى إن التخلصات هي نوع من الالتفات، ولكن خروجها متصل بمناسبة بين الغزل والوصف أو غير ذلك».[١٦] ومرّ على نحو هذا المفهوم الزركشي (٧٩٤هـ) حيث قال في الالتفات: « هو نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب». ومعه زيادة في أقسام الالتفات: بناء الفعل

---

[١٣] السكاكي. **مفتاح العلوم**، الطبعة الثانية، (بيروت: دار الكتب العربية، ١٤٠٧هـ)، ص: ١٩٩.

[١٤] ابن الأثير، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، المجلد الثاني، (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٠هـ)، ص: ٣.

[١٥] العلوي، **الطراز لأسرار البلاغة**، الطبعة الأولى، المجلد الثاني، (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٣هـ)، ص: ٧١.

[١٦] صلاح الدين الصفدي، **الغيث المسجم في شرح لامية العجم**، الطبعة الثالثة، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٧٥م)، ص: ٢٥٧.

للمفعول بعد خطاب فاعله أو تكلمه.[١٧]

وبعد العرض الموجز لمفهوم الالتفات يتضح أن الالتفات من أنواع الصياغة للكلام يقتضي مخالفة السابق بعد ذكره أو الانتقال عنه. تطور دراسة البلاغيين عن هذا الأسلوب من أن يكون منحصرا في التحول بين الضمائر إلى أن أصبح متسعا يشمل كل تحول في نسق التعبير لا يتغير به جوهر المعنى. ففي ضوء هذا المفهوم الواسع قام الباحث بإجراء بحثه ليكشف بلاغة الالتفات في الجزء الثلاثين من القرآن الكريم.

أقسام الالتفات

نهج بعض البلاغيين في تضييق دائرة الالتفات على الانتقال بين الضمائر الثلاثة (المتكلم والخطاب والغيبة)، فمن هؤلاء: الزمخشري في «الكشاف» والسكاكي في «مفتاح العلوم» والخطيب القزويني في «الإيضاح».

وأما الآخرون فذهبوا إلى توسيع تلك الدائرة حتى شملت إلى جانب هذا اللون ألوانا أخرى تماثله في مسلكه التعبيري.[١٨] فمن سادة البلاغيين على هذا السبيل ابن الأثير الذي رأى الالتفات لا يقتصر بين الضمائر فحسب فإنما يكون بين الأفعال أيضا، فقسمه إلى ثلاثة أقسام هي:

١- الرجوع من الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة.

٢- الرجوع عن الفعل المستقبل إلى فعل الأمر، وعن الفعل الماضي إلى فعل الأمر.

---

[١٧] بدر الدين الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، الطبعة الأولى، المجلد الثالث، (حلب: دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٦هـ)، ص: ٣١٤.

[١٨] حسن طبل، **أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية**، (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤١٨هـ)، ص: ٢٢.

٣- الإخبار عن الفعل الماضي بالمستقبل، وعن المستقبل بالفعل الماضي.[١٩]

وفي «الجامع الكبير» أضاف ابن الأثير إلى تلك الأقسام مجالا آخر في الالتفات بين العدد، وهو ما عبر عنه بقوله: « الرجوع من خطاب التثنية إلى خطاب الجمع، ومن خطاب الجمع إلى خطاب الواحد. فمن ذلك قوله تعالى﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٨٧]. ألا ترى إلى هذا المعنى والتوسع في الكلام فإنه نوع الخطاب، فثنى ثم جمع ثم وحد، فخاطب موسى وهارون - عليهما السلام - بالنبوة والاختيار، وذلك مما يفوض إلى الأنبياء. ثم ساق الخطاب لهما ولقومهما باتخاذ المساجد، وإقامة الصلاة، كأن ذلك واجب على الجمهور، ثم خص موسى - صلوات الله عليه - بالبشارة التي هي الغرض، تعظيماً له وتفخيماً لا مره، ولأنه الرسول على الحقيقة ».[٢٠]

هذا التوسع لدائرة الالتفات قد سلكه العلوي[٢١] والزركشي[٢٢] والبلاغيون الآخرون ممن أتوا بعد ابن الأثير إلى زمن الحاضر، مثال ذلك ما وصل إليه د. حسن طبل من تصنيف أبرز المجالات التي تحقق فيها الالتفات في القرآن الكريم – وفيها جزئيات متعددة - إلى ست مجالات: الصيغ، العدد، الضمائر، الأدوات، البناء النحوي، المعجم.[٢٣]

---

١٩ ابن الأثير. **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، المجلد الثاني، (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٠هـ)، ص: ١٣٥-١٤٩.

٢٠ ابن الأثير، **الجامع الكبير في صناعة المنظوم من كلام والمنثور**، (بغداد: مطبعة المجمع العلمي، ١٣٧٥هـ)، ص: ١٠١-١٠٢.

٢١ العلوي، **الطراز لأسرار البلاغة**، الطبعة الأولى، المجلد الثاني، (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٣هـ)، ص: ٧١.

٢٢ بدر الدين الزركشي. **البرهان في علوم القرآن**، الطبعة الأولى، المجلد الثالث، (حلب: دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٦هـ)، ص: ٣١٤-٣٣٧.

٢٣ حسن طبل، **أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية**، (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤١٨هـ)، ص: ٥٥.

أسلوب الالتفات في الجزء الأخير من القرآن الكريم

تتضمن في هذا الجزء الثلاثين من القرآن سبع وثلاثون سورة وكلها من أوسط المفصل وقصاره مما تتميز بآية قصيرة مع إيجاز في أغلبيتها، والالتفات في هذا الجزء بارز في عدد من الآيات بمختلف أجناسه. منها ما يكون بين الضمائر، وبين الصيغ، وبين البناء النحوي وغيرها.

وفي هذا البحث ستعرض بعض مواضع الالتفات مع تحليلها البسيط حتى تتضح صوة الالتفات وأسراره مستعينا بأقوال المفسرين فيها، وأما بقية المواضع التي وقف الباحث عليها فوضعت في قائمة خاصة بدون سرد أقوال المفسرين مكتفيا بما سبق من التحليل.

المواضع التي تحقق فيها الالتفات في الجزء الثلاثين من القرآن الكريم

- قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ [النبأ: ١٨-١٩]

موضع الالتفات في الآية المباركة في قوله تعالى : ﴿ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ ﴾ وذلك بعد قوله تعالى : ﴿ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ﴾ بصيغة الفعل الماضي وكان مقتضى الظاهر « يُفْتَحُ » تماشيا مع الفعل المضارع السابق عليه، ولكن الالتفات إلى الفعل الماضي -مع أنه لم يقع- لتحقيق وقوع هذا التفتيح حتى كأنه قد مضى وقوعه.[٢٤]

[٢٤] الشوكاني، **فتح القدير**، المجلد الخامس، الطبعة الأولى، (دمشق: دار ابن كثير، ١٤١٤هـ)، ص: ٤٤١؛ الآلوسي، **روح المعاني**، المجلد الخامس عشر، الطبعة الأولى، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ)، ص: ٢١٢؛ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، المجلد الثلاثون، (تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م)، ص: ٣٢.

- **قوله تعالى :** ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى. أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى. وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ﴾ [عبس: ١ – ٣]

التفت الضمير بعد أن كان للغيبة ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى. أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴾ إلى الخطاب ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ﴾ وفيه إنكار للمواجهة بالعتب أولا؛ إذ في الغيبة إجلال له صلى الله عليه وسلم؛ لإيهام أن من صدر منه ذلك غيره، لأنه لا يصدر عنه مثله؛ كما أن في الخطاب إيناسا بعد الإيحاش، وإقبالا بعد إعراض.[٢٥]

- **قوله تعالى:** ﴿ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ. فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ ﴾ [عبس : ١١ – ١٢]

وقع الالتفات بين الضميرين وهو بعد أن كان الضمير للتأنيث جاء للتذكير مع أن كليهما راجعان إلى القرآن، تأنيث الأول لتأنيث خبره، وقيل: الأولى للسورة، أو للآيات السابقة، والثاني للتذكرة والتذكير؛ لأنها في معنى الذكر والوعظ وليس بذاك، فإن السورة والآيات وإن كانت متصفة بما سيأتي من الصفات الشريفة، لكنها ليست مما ألقي على من استغنى عنه واستحق بسبب ذلك ما سيأتي من الدعاء عليه والتعجب من كفره المفرط لنزولها بعد الحادثة.[٢٦]

- **قوله تعالى:** ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [البروج: ٨]

موضع الالتفات في هذه الآية في قوله ﴿ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ ﴾ بالفعل المضارع وذلك بعد قوله تعالى ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ ﴾ بالفعل الماضي. ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ ﴾ أي وما أنكروا من المؤمنين ... ﴿ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ قال

---

[٢٥] القاسمي، **محاسن التأويل**، المجلد التاسع، الطبعة الأولى، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ)، ص: ٤٠٥.

[٢٦] أبو السعود أفندي، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، المجلد التاسع، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، ص: ١٠٩.

بلفظ المضارع مع أن الإيمان وجد منهم في الماضي لإرادة الاستمرار والدوام عليه فانهم ما عذبوهم لإيمانهم في الماضي بل لدوامهم عليه في الآتي ولو كفروا في المستقبل لم يعذبوا على ما مضى فكانه قيل الا ان يستمروا على إيمانهم.[٢٧]

- قوله تعالى: ﴿ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴾ [الطارق : ١٧]

يتمثل التفات في هذه الآية بين لفظ ﴿ فَمَهِّلِ ﴾ ولفظ ﴿ أَمْهِلْهُمْ ﴾ حيث جاء التمييز في الثاني بالألف وكل من اللفظين يدل على معنى الإنظار إلى وقت معين أو غير معين، فبين المفسرون سر هذا العدول بأنه للتأكيد ولقصد زيادة التسكين والتصبر، وخولف بين الفعلين في التعدية مرة بالتضعيف وأخرى بالهمز لتحسين التكرير.[٢٨]

- قوله تعالى: ﴿ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُوْنَ ... وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ﴾ [الكافرون : ٢ – ٤]

تحول الأسلوب بعد أن كان بالجملة الفعلية في الآية الثانية إلى الجملة الاسمية في الآية الرابعة من هذه السورة، ونقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية أن المراد بقوله سبحانه ﴿ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُوْنَ ﴾ نفي الفعل لأنها جملة فعلية وبقوله تعالى ﴿ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ﴾ نفي قبوله صلّى الله عليه وسلم لذلك بالكلية لأن النفي بالجملة الاسمية آكد فكأنه نفى الفعل

---

[٢٧] أبو الفداء إسماعيل، **روح البيان**، المجلد العاشر، (بيروت: دار الفكر)، ص: ٣٨٩؛ محمد الأمين الشنقيطي، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، المجلد الثامن، (بيروت: دار الفكر، ١٤١٥هـ)، ص: ٤٨٦.

[٢٨] القاسمي، **محاسن التأويل**، المجلد التاسع، الطبعة الأولى، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ)، ص: ٤٥٢؛ الرازي، **مفاتيح الغيب**، المجلد الأول والثلاثون، الطبعة الثانية، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ)، ص: ١٢٤؛ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، المجلد الثلاثون (تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م)، ص: ٢٦٨.

وكونه عليه الصلاة والسلام قابلا لذلك، ومعناه نفي الوقوع ونفي إمكانه الشرعي، ونوقش في إفادة الجملة الاسمية نفي القبول ولا يبعد أن يقال إن معنى الجملة الفعلية نفي الفعل في زمان معين، والجملة الاسمية معناها نفي الدخول تحت هذا المفهوم مطلقا من غير تعرض للزمان كأنه قيل: أنا ممن لا يصدق عليه هذا المفهوم أصلا وأنتم ممن لا يصدق عليه ذلك المفهوم فتدبر.[٢٩]

- قوله تعالى: ﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ . وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ. وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ [الكافرون : ٣ – ٥]

يلاحظ هنا التفات من الفعل المضارع ﴿ مَا أَعْبُدُ ﴾ إلى الماضي ﴿ مَا عَبَدْتُمْ ﴾ ثم إلى المضارع﴿ مَا أَعْبُدُ ﴾، وجيء بالفعل الماضي في قوله: ﴿ مَا عَبَدْتُمْ ﴾ للدلالة على رسوخهم في عبادة الأصنام من أزمان مضت، وفيه رمز إلى تنزهه صلى الله عليه وسلم من عبادة الأصنام من سالف الزمان وإلا لقال: ولا أنا عابد ما كنا نعبد.[٣٠]

ولورود الفعل المضارع قبله وبعده فائدة عظيمة، ربما ظن ظان أن النفي عنهم إنما هو لعبادة معبوده في الحال، نفى ذلك في الاستقبال أيضا علما من أعلام النبوة مع تأكيد ما أفادته الجملة الماضية جريا على مناهيج العرب في التأكيد قطعا لآمالهم منه على أتم وجه وآكده.[٣١]

---

[٢٩] الآلوسي، **روح المعاني**، المجلد الخامس عشر(بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ)، ص: ٤٨٧.

[٣٠] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، المجلد الثلاثون، (تونس: الدار التونسية للنشر، 1984م)، ص: 583.

[٣١] برهان الدين البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، المجلد الثاني والعشرون، (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي)، ص: 307.

قائمة مواضع الالتفات في الجزء الأخير من القرآن الكريم

الرقم	موضع الالتفات	نوع الالتفات
١	﴿ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى **رَبِّهِ** مَآبًا إِنَّا **أَنْذَرْنَاكُمْ** عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ [النبأ: ٣٩-٤٠]	الالتفات في الضمائر (من ضمير الغيبة إلى ضمير التكلم)
٢	﴿ فَلَا **أُقْسِمُ** بِالْخُنَّسِ .... **ذِي** قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾ [التكوير: ١٥ – ٢٠]	الالتفات في الضمائر (من ضمير التكلم إلى ضمير الغيبة)
٣	﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ **لِلْعَالَمِينَ**. لِمَنْ شَاءَ **مِنْكُمْ** أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴾ [التكوير: ٢٧ – ٢٨]	الالتفات في الضمائر (من ضمير الغيبة إلى ضمير الخطاب)
٤	﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ **رَكَّبَكَ**. كَلَّا بَلْ **تُكَذِّبُونَ** بِالدِّينِ ﴾ [الانفطار : ٨ – ٩]	الالتفات في العدد (من الإفراد إلى الجمع)
٥	﴿ بَلَى إِنَّ **رَبَّهُ** كَانَ بِهِ بَصِيرًا. فَلَا **أُقْسِمُ** بِالشَّفَقِ ﴾ [الانشقاق : ١٥ – ١٦]	الالتفات في الضمائر (من ضمير الغيبة إلى ضمير التكلم)
٦	﴿ **سَنُقْرِئُكَ** فَلَا تَنْسَى. إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ [الأعلى : ٦ – ٧]	الالتفات في الضمائر (من ضمير التكلم إلى ضمير الغيبة)
٧	﴿ إِنَّهُ **يَعْلَمُ** الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى. **وَنُيَسِّرُكَ** لِلْيُسْرَى ﴾ [الأعلى : ٧ – ٨]	الالتفات في الضمائر (من ضمير الغيبة إلى ضمير التكلم)
٨	﴿ **فَيُعَذِّبُهُ** اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ. إِنَّ **إِلَيْنَا** إِيَابَهُمْ ﴾ [الغاشية : ٢٤ – ٢٥]	الالتفات في الضمائر (من ضمير الغيبة إلى ضمير التكلم)
٩	﴿ **فَيَقُولُ** رَبِّي أَهَانَنِ. كَلَّا بَلْ لَا **تُكْرِمُونَ** الْيَتِيمَ ﴾ [الفجر: ١٦ – ١٧]	الالتفات في الضمائر (من ضمير الغيبة إلى ضمير الخطاب)

الرقم	موضع الالتفات	نوع الالتفات
١٠	﴿ لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ..... لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد : ١- ٤]	الالتفات في العدد (من الإفراد إلى الجمع)
١١	﴿ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى. فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ [الليل : ١٣ – ١٤]	الالتفات في العدد (من الجمع إلى الإفراد)
١٢	﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ... وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴾ [الشرح : ٤ – ٨]	الالتفات في الضمائر (من ضمير التكلم إلى ضمير الغيبة)
١٣	﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ... فَمَا يُكَذِّبُكَ ﴾ [التين : ٤ – ٧]	الالتفات في الضمائر (من ضمير الغيبة إلى ضمير الخطاب)
١٤	﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ... أَلَيْسَ اللهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِيْنَ ﴾ [التين : ٤ – ٨]	الالتفات في الضمائر (من ضمير التكلم إلى ضمير الغيبة)
١٥	﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى. أَنْ رَآهُ .... إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾ [العلق : ٦ - ٧ – ٨]	الالتفات في الضمائر (من ضمير الغيبة إلى ضمير الخطاب)
١٦	﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى. عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾ [العلق : ٩ – ١٠]	الالتفات في الضمائر (من ضمير الخطاب إلى ضمير الغيبة)
١٧	﴿ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى. كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا﴾ [العلق : ١٤ – ١٥]	الالتفات في الضمائر (من ضمير الغيبة إلى ضمير التكلم)
١٨	﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ ... تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ [القدر: ١ – ٤]	الالتفات في الضمائر (من ضمير التكلم إلى ضمير الغيبة)
١٩	﴿ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ ... رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾ [البينة: ٨]	الالتفات في المعجم (من لفظ ''رب'' إلى ''الله'' ثم إلى ''رب'')

الرقم	موضع الالتفات	نوع الالتفات
٢٠	﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ .... إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ﴾ [العاديات : ٩ – ١١]	الالتفات بين العدد (من الإفراد إلى الجمع)
٢١	﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ. وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا. فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ... [النصر: ١-٣]	الالتفات في المعجم (من لفظ "الله" إلى "رب")
٢٢	﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ. فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر : ١ – ٢]	الالتفات بين الضمائر (من ضمير التكلم إلى ضمير الغيبة)

الخاتمة

تنوعت أشكال الالتفات في الجزء الثلاثين من القرآن الكريم، وهي تشمل الالتفات في الضمائر والصيغ والعدد والمعجم والبناء النحوي، ولم يعثر الباحث على الالتفات في الأدوات، وكان الالتفات في الضمائر من التكلم والخطاب والغيبة ثلاثتها ينقل كل واحد منها إلى الآخر أخذ حيزا أكبر من سائر المواضع.

ولقد اهتم المفسرون بتلك المواضع القرآنية التي تحقق فيها الالتفات عند تفسيرها فذكر الفروق بين الجمل والكلمات وعدول اللفظ من سياقه المعتاد وفائدة ذلك العدول، فتبين أن ما من التفات إلا وفيه دليل على إعجاز القرآن الكريم من بلاغته، ودلالاته، ومعانيه، وتناسبه للواقع. فالقرآن جدير -بل لا مبالغة أن يقال- واجب أن تدرس أساليبه وتدبر معانيه.

مصادر البحث

ابن الأثير. ١٣٧٥هـ. **الجامع الكبير في صناعة المنظوم من كلام والمنثور**. (بغداد: مطبعة المجمع العلمي).

ابن المعتز. ١٤١٠هـ. **البديع في البديع**. الطبعة الأولى، (بيروت: دار الجيل).

ابن حجر العسقلاني. ١٣٧٩هـ. **فتح الباري**. المجلد الثاني، (بيروت: دار المعرفة).

ابن عاشور. ١٩٨٤م. **التحرير والتنوير**. المجلد الثلاثون، (تونس: الدار التونسية للنشر).

ابن عطية. ١٤٢٢هـ. **المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز**. المجلد الثالث، (بيروت: دار الكتب العلمية).

ابن فارس. ١٣٩٩هـ. **معجم مقاييس اللغة**. المجلد الخامس، (بيروت: دار الفكر).

ابن منظور. ١٤١٤هـ. **لسان العرب**، الطبعة الثالثة، المجلد: الثاني، (بيروت: دار صدر).

أبو السعود أفندي. **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**. المجلد التاسع، (بيروت: دار إحياء التراث العربي).

أبو الفداء إسماعيل. **روح البيان**. المجلد العاشر، (بيروت: دار الفكر).

أبو داود. **السنن**. المجلد الأول، (بيروت: المكتبة العصرية).

أبو عبيدة. ١٣٨١هـ . **مجاز القرآن**. (القاهرة: مكتبة الخانجي).

الآلوسي. ١٤١٥هـ. **روح المعاني**. المجلد الخامس عشر، الطبعة الأولى، (بيروت: دار الكتب العلمية).

البخاري. ١٤٢٢هـ. **الصحيح**. الطبعة الأولى، المجلد الأول، (بيروت: دار طوق النجاة).

بدر الدين الزركشي. ١٣٧٦هـ. **البرهان في علوم القرآن**. الطبعة الأولى، المجلد الثالث، (حلب: دار إحياء الكتب العربية).

برهان الدين البقاعي. **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**. المجلد الثاني والعشرون، (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي).

الترمذي. ١٩٩٨م. **السنن**. المجلد الأول، (بيروت: دار الغرب الإسلامي).

الجوهري. ١٤٠٧هـ. **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**. المجلد الأول، (بيروت: دار العلم للملايين).

حسن طبل. ١٤١٨هـ. **أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية**. (القاهرة: دار الفكر العربي).

الزبيدي. ١٣٨٩هـ. **تاج العروس من جواهر القاموس**. المجلد الخامس، (كويت: مطبعة حكومة كويت).

الزمخشري. ١٤٠٧هـ. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**. الطبعة الثالثة، المجلد الأول، (بيروت: دار الكتاب العربي).

زين الدين الرازي. ١٤٢٠هـ. **مختار الصحاح**. (بيروت: المكتبة العصرية – الدار النموذجية).

السكاكي. ١٤٠٧هـ. **مفتاح العلوم**. الطبعة الثانية، (بيروت: دار الكتب العربية).

الشوكاني. ١٤١٤هـ. **فتح القدير**. المجلد الخامس، الطبعة الأولى، (دمشق: دار ابن كثير).

صلاح الدين الصفدي. ١٩٧٥م. **الغيث المسجم في شرح لامية العجم**. الطبعة الثالثة، (بيروت: دار الكتب العلمية).

الطبري. ١٤٢٠هـ. **جامع البيان في تأويل القرآن**. المجلد الخامس عشر، (بيروت: مؤسسة الرسالة).

العظيم آبادي. ١٤١٥هـ. **عون المعبود شرح سنن أبي داود**. الطبعة الثانية،

المجلد الثالث، (بيروت: دار الكتب العلمية).

العلوي. ١٤٢٣هـ. **الطراز لأسرار البلاغة.** الطبعة الأولى، المجلد الثاني، (بيروت: المكتبة العصرية).

فخر الدين الرازي. ١٤٢٠هـ. **مفاتيح الغيب**. المجلد الأول والثلاثون، الطبعة الثانية، (بيروت: دار إحياء التراث العربي).

القاسمي. ١٤١٨هـ. **محاسن التأويل**. المجلد التاسع، الطبعة الأولى، (بيروت: دار الكتب العلمية).

القزويني. **الإيضاح في علوم البلاغة.** الطبعة الثالثة، المجلد الثاني، (بيروت: دار الجيل).

مجمعة اللغة العربية. ٢٠٠٤م. **المعجم الوسيط**. (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية).

محمد أبو موسى. **خصائص التراكيب.** الطبعة السابعة، (القاهرة: مكتبة وهبة).

محمد الأمين الشنقيطي. ١٤١٥هـ. **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**. المجلد الثامن، (بيروت: دار الفكر).

النسائي. ١٤٠٦هـ. **السنن**، الطبعة الثانية، المجلد الثالث، (حلب: مكتب المطبوعة الإسلامية).